النشاط المدرسى

وأثره فى إعداد النشء وتكوين شخصيته

لحضرة صاحب العزة محمد بك فهيم
مراقب عام النشاط المدرسى بوزارة المعارف

طلبت إلىّ مجلة الشؤون الاجتماعية أن أتحدث عن " النشاط المدرسى وأثره فى إعداد النشء وتكوين شخصيته" وإنه ليطيب لى أن أتحدث عن النشاط المدرسى فهو تطور حديث فى أساليب التربية والتعليم يشغل تفكير المربين الذين يخصونه بقسط وافر من عنايتهم ورعايتهم لما ظهر من آثاره ذات الخطر العظيم فى تربية النشء وإعداده وتكوين شخصيته .

وإنى لأشعر بأن الكثيرين لا يدركون تماما ما هو النشاط المدرسى ، حتى لقد قال لى كبير مرة : ما معنى النشاط المدرسى ؟ فقلت لعلك تخبرنى ما هو على حد علمك ومعرفتك. فقال : لست أدرى ، هل معناه أنه إذا كسل ابنى أخطرك لتعمل على تنشيطه . فقلت هذا بعيد عن الحقيقة وإن كان النشاط المدرسى يعمل على محاربة الركود الفكرى والخمول .

والنشاط المدرسى ترجمة لما يسمونه بالانجليزية (School Activities) وبالفرنسية (Les Activités Scholaires أو Les Loisus) ويسميه الأمريكيون عادة (Extra. Curricular Activities) أى نواحى النشاط خارج خطة الدراسة الموضوعة . وعلى ذلك يكون النشاط المدرسى هو أعمال التلاميذ الرياضية والأدبية والعلمية والعملية والفنية والاجتماعية التى يؤدونها خارج الفصول ، والتى يقصد بها تركيز المادة التى يتعلمونها وتفهمها ، والانتفاع بها فى حياتهم . وعلاوة على ذلك تعلم أشياء ليست فى صلب خطة الدراسه والمناهج الموضوعة ، لتعاون فى إعدادهم إعدادا صالحا قويما للحياة العملية ، ليكونوا مواطنين صالحين .

والواقع أن النشاط المدرسى بوجوهه المختلفة يبعث الحياة فى الدراسة العادية ، ويفضلها بما يأتى :

(أولا) بأنه ليس إجباريا بل يستند إلى أساس من رغبة الشباب ، وآرائهم ، وخواطرهم وطموحهم ، فيختار التلميذ من ضروبه ما يناسب ميوله وغرائزه ، فيستطيع المشرفون على تربيته أن يقفوا على تلك الميول ، ويوجهوه الوجهة التى تناسبه ، ويكون لها أحسن الأثر فى تكوينه فى شتى النواحى الجثمانية والخلقية ، والعلمية والعملية ، وفى النهاية فى خلق المواطن الصالح النافع .

(ثانيا) بأنه فى كثير من الاحيان يعاون على تشجيع روح الابتكار فى التلاميذ ، وينمى قوة الإرادة ، ويساعد على الاعتماد على النفس .

(ثالثا) بأنه يعاون المربين على ملاحظة التلاميذ فى أثناء لعبهم واشتغالهم بالجمعيات المختلفة ، فيستطيعون استنباط نتائج ، قد يكون لها شأن يذكر فى تعديل نظم التربية وقواعد التعليم .

(رابعا) بأنه يساعد على احترام شخصية التلميذ ، وتشجيع ميوله ، لأنه يختار من صروبه ما يشاء لا ما يشاء له غيره ، وهـذا له أحسن الأثر فى تكوين تلك الشخصية ، وتنمية تلك الميول .

(خامسا) بأنه يبعث فى التلميذ الروح الاجتماعى ، إذ يشعره بأنه فرد فى مجموع ، فعليه أن يعمل عملا ما فى ناحيـة أو أكثر من ناحيـة لمصلحة المجموع ، لأن نتائج العمل فى نواحى النشاط المدرسى ، تتوقف على جهود الأفراد وإخلاصهم فى القيام بها .

(سادسا) بأنه يدفع المدرس والتلميذ إلى الاستعانة بكل قواهما العقلية والجثمانية فى الإنتاج الفكرى والعملى .

وبعبارة موجزة أن ميدان النشاط المدرسى يهيئ الفرصة للتلميذ ليفهم ما يتعلم بالتفكير فيه ، ثم بالاستفادة منه عمليا ، وبتطبيقه على نواحى الحياة ، فيتبين الحقائق ظاهرة جلية . وهذا يباعد بينه وبين عالم الخيال البحت ، ويجعله يشعر بكيانه وشخصيته .

ولقد أجمل مسيو لويس دوماس Louis Dumas العضو بالمجلس العالى للتعليم بفرنسا فى وقت ما معنى النشاط المدرسى فيما يلى :

"Préparation à la vie parmi les réalitées de la terre."

" إعداد للحياة وسط عالم الحقائق " .

وهذا يحقق ما ذهب اليه John Dewey الأمريكى فى التعليم بأنه يجب أن يكون :

"Learning by doing."

" أى أنه يجب أن يقوم التعليم على أساس عمل الأشياء " .

وقلنا فيما سبق إن النشاط المدرسى يقوم على الرغبة ، وهذا هام جدا ، لأن ترك حرية العمل ، للمدرسة بحسب مايهديها إليه تفكيرها ، وما يتراءى لها أنه أنجع الطرائق وأنجح النواحى وللتلميذ فيختار بحسب استعداده وميوله ، أكبر عون لتكوين شخصيات المدارس وشخصيات التلاميذ على السواء .

وسبق أن قلت إن الفرنسيين يتحدثون عن النشاط المدرسى باعتباره Les Loisirs وهذا يلقى ضوءا على ماهيته ، إذ أنهم يعنون بذلك تنظيم أوقات فراغ التلاميذ .

هذا هو الأصل فى النشاط المدرسى، وأقل ما فكر فيه من عهد بعيد لتنظيم هذه الأوقات هى الألعاب ولست فى حاجة إلى التحدث عن مزاياها، وفوائدها، فى تقوية الجسم، وسلامة العقل وبث روح التعاون بين التلاميذ، وتعويدهم الإقدام والشجاعة، والصبر والجلد، وقوة الملاحظة، وغيرها من الصفات اللازمة لتكوين الرجولة، وإبراز الشخصية. ولقد قيل إن انجلترا تكسب حروبها فى ميادين الألعاب.

على أنه بمضى الزمن تغيرت وجهات النظر فى وسائل التعليم، فلم يعد الغرض منه أن يكون التلميذ أداة استقبال تستقبل ما يلقنه المدرس له، ويصبه فى ذهنه قسرا، ويحشره فيه حشرا، دون أن يكون له فيه أثر، بل تحول إلى أن يكون التلميذ أداة حية، تعمل بنفسها لنفسها، تحت إشراف المدرس، ليثقف عقله، وتهذب نفسه، فتكون شخصيته ولقد قال الفرنسيون:

"Il vaut mieux une tête bien faite qu'une tête bien pleine."

"لأفضل أن يكون الرأس حسن الإعداد، من أن يكون مليئا ومشحونا بالمعلومات".

نعم يجب أن يكون التلميذ أداة حية لها طابعها، وشخصيتها، وميولها، واستعدادها، ومواهبها. والنشاط المدرسى يكشف عن ميول التلميذ واستعداده ومواهبه، لأنه يختار من نواحيه ما يتفق مع هذه الميول، وما ينسجم مع تلك المواهب. وفى هذا عنصر إبراز شخصيته، وعامل نجاحه فى الحياة.

وعلى ذكر نواحى النشاط المدرسى نورد بعضها:

فهناك النشاط الأدبى، وهذا للغات، فتتكون جماعات المحاضرات، والمناظرات، والتحرير، والمطالعة، والتلخيص، والأدب، الخ.

والنشاط الاجتماعى، فتتكون جماعات الجغرافية والتاريخ والخدمة الاجتماعية الخ.

والنشاط العلمى، فتتكون جماعات الطبيعة والكيمياء وعلم الأحياء الخ.

والنشاط العلمى، فتتكون جماعات الأشغال اليدوية وفلاحة البساتين الخ.

والنشاط الفنى، فتتكون جماعات الموسيقى والتمثيل والرسم والتصوير الخ.

فضلا عن الرحلات والإذاعة والسينما المدرسية.

ويتخذ النشاط المدرسى وسيلة لتوجيه التلميذ الوجهة التى تؤدى الى نجاحه، فلا يترك يتخبط فى دياجير الظلام، يدرس برامج المواد النظرية وقد لا يكون قد خلق لها. وكثيرا ما يفشل التلميذ فى المدرسة الثانوية، ويرسب عاما بعد عام فى الفرقة الواحدة، وكثيرا ما يعجز عن الوصول إلى نهاية هذه المرحلة، فاذا ما أخرج منها وألحق بمدرسة صناعية مثلا برز الأقران وكان النجاح رائده. والأمثلة كثيرة.

وهنا يجمل أن أورد ما قاله لأستاذ Dewey في مؤلفه Human Nature and Conduct

"لقد أظهرت أبحاث أساتذة التحليل النفسانى أن الميول والمواهب والدوافع ذات حدين، وتركت كامنة فى حنايا النفوس، قضرت سما، وسببت قروحا، وأفرزت مواد قاتلة مهلكة" والنشاط المدرسى هو الذى يطلق هذه الميول والمواهب والدوافع من عقالها، ويبعثها حرة طليقة، فتقطر اكسير الحياة بدل السم، وتسبب سلامة الجسم ونضارته بدل القروح، وتفرز كل دواء ناجع لنواحى الحياة بدل المواد القاتلة المهلكة.

أقيمت معارض النشاط المدرسى فى العام الماضى فى مناطق التعليم، وقد شهدها آلاف بل ملايين من المصريين. وأقول ملايين ولست مبالغا لأن كل بيت فى مصر كان عارضا فى أحد تلك المعارض. ولقد بهر الناس ما رأوا من أعمال التلاميذ، حتى لقد ذهب بعضهم إلى القول بأن المعروضات لم تكن من صنعهم. وهم معذورون فى ظنهم وريبتهم، اذ لم تعهد مصر من قبل مثل هذا التطور العظيم فى أساليب التعليم، ولم يعتد الناس أن يروا تلميذا فى المدارس الابتدائية صانعا، أو فى المدارس الثانوية والفنية مبتكرا. والحق يقال إننى أنا شخصيا داخلنى الشك فى لوحات عرضتها إحدى مدارس القاهرة، فأتوا لى بالمثال الحاذق من بين تلاميذها، فقام بعمل لوحتين تحت رقابتى وملاحظتى، وإذ ذاك غمرنى الفرح والسرور، لأن هذه ثروة فنية ما كنا نستطيع أن نكشف عنها لولا النشاط المدرسى. ومدرسة أخرى عرضت نماذج للسفن الحربية على اختلاف أنواعها صنعت بدقة ومهارة جعلتانى أشك فى أمرها، فأتوا لى بالصانع الصغير وهو أحد تلاميذها، فقام بعمل بعض النماذج فى المعرض، وعلمت من السيدة الجليلة جدته أن له بالمنزل ورشة معدة إعدادا تاما يقوم فيها بإشباع تلك الموهبة. وهذه ثروة صناعية وفنية لم يكشف عنها إلا النشاط المدرسى، وتلميذ فى مدرسة قنا الثانوية اختصته المدرسة بحجرة يعرض فيها أعماله وأجهزته الكهربائية، وكل من زاره يذكر مقدار ما شعر به من غبطة وسرور لهذا الاتجاه السليم الذى وجهته المدرسة إياه فى ميدان النشاط المدرسى. ونحن مازلنا مبتدئين، ولا بد أن الزمن سيقوى دعائم النشاط المدرسى، ويوسع مجاله، فتظهر العبقريات والمواهب، وتعمل حرة طليقة فى ذلك المجال الواسع، تصول وتجول فى ميادين الفن والأدب، والعلم والصناعة وتظهر المخترعات والمبتكرات على أيدى تلك الشخصيات الموهوبة، التى أطلق لها العنان، ووجهت إلى الطرق التى تناسبها.

فالنشاط المدرسى يحول ما يتعلمه التلميذ الى فوائد عملية وهو فضلا عن ذلك يكشف عن الميول والمواهب فى التلاميذ، فتبدو لكل منهم شخصيته. نعم تبدو شخصيته لأن التلميذ فى ميدان النشاط المدرسى يسترد شيئا من الحرية فى العمل، والاستقلال فى الفكر،

ويتحرر من نير الكتب المقررة ، واستبعاد المذكرات المهيأة ، وهى كثيرا ما تثنى عزمه عن البحث والدرس والاستقصاء ، وهـذه هى التربية الاستقلالية التى ننشدها لأبنائنا والتى تبعث فيهم الثقة بالنفس ، والاعتداد بالذات ، والاعتماد على الجهود الشخصية .

فهذا تلميـذ يقوم محاضرا بين إخوانه ، أو خطيبا فى مناظرة فهو يبحث ويدرس ويبدى الأسباب ، ويصل إلى النتائج ، وهكذا ، حتى إذا ما غادر المدرسة الثانوية غادرها وقد وثق من أنه يستطيع أن يقف خطيبا فى جمع من إخوانه . ومما يجدره ذكره فى هذه المناسبة أن تلميذا فى مدرسة ثانوية فى الوجه القبلى ، تخرج فى كلية الحقوق ويشتغل بالمحاماة ، تبرع لجماعة الخطابة والمناظرة بتلك المدرسة بجوائز أدبيـة توزع على المتفوقين فيها اعترافا بمـا لهـا من فضل عليه فى حياته العملية .

وهذا تلميذ يدرس العلوم بعمل على تطبيقها على الحياة اليومية ، فيستطيع أن يقوم فى منزله بعمل التركيبات الكهربائية مثلا ، وإصلاحها ، وإصـــلاح الراديو ، وعمل الكولونيا والصابون وهكذا .

وهذا آخر يميل إلى فلاحة البساتين فيعشق الأزهار وتربية النحل والدواجن ويلم بالكثير من الصناعات الزراعية والمنزلية .

وهذا آخر أغرم بالموسيقى أو بالرسم والتصوير فأبدع وتفنن .

وهذا تلميذا جذبته الأشغال اليدوية فأحسن الابتكار بمـا يدل على حسن الذوق .

والواقع أن كلا من هؤلاء كوّن لنفسه شخصية خاصة به تلازمه مدى الحياة ، شخصية كثيرا ما تنـال إعجاب الغير واحترامه وحسن تقديره .

ولو سئلت ماهو أهم مايؤديه النشاط المدرسى فى تكوين الشخصيات ، لقلت هو إشعار التلميـذ بالمسئولية ، ومتى شعر بالمسؤولية قلت أوقات الفراغ التى يقطعها جزافا ، والتى يمضيها عبثا وفيما لايفيد ، لأنه مشغول ، يفكر بعقله ، ويجرب ويعمل بيديه ، فجميع أوقاته مشحونة بحب الاستطلاع والبحث والتنقيب . وهو يسير بعينين مفتوحتين لتريا كل شىء وعقل مستعد لتفهم مايحيط به من ظواهر ومظاهر ، فهو بذلك بعيـد عن مواطن السوء بعيد عن كل ما يقطع عليه السبيل إلى النهوض العلمى ، والسمو الخلقى ، والقوة الجثمانية ، وهو بكل ذلك سعيد ممتلئ غبطة وسرورا . ولايشعر التلميذ بالمسئوليـة إلا إذا تعوّد الثقة بالنفس فيما يبدؤه بنفسه ، وهو نفعه وخطره ، وهذا هو مفتاح الشعور بالمسئولية ، فالتلميذ

الذى يشترك فى النشاط المدرسى ، والذى يساهم فى ناحية أو أكثر ، يجب أن نوحى اليه بالشعور بالحاجة إلى عمل الأشياء ، والرغبة فى القيام بها ، بدافع من نفسه ، لا أن نشعره بأنه يتحتم عليه عملها ، والقيام بها ، ويجب ألا نتدخل معه إلا بالقدر اللازم لمجرد الإرشاد والتوجيه ، أو للتنبيه إلى أشياء لا يعرفها ، أو إلى طريقة توصله إلى النجاح فيما هو بصدد القيام به ، أو لنشجعه على القيام بعمل قد يظنه صعبا . ويجب أن يفهم أنه هو القوة المفكرة والمنفذة وأنه يجب عليه أن يكافح ويجاهد فى التحصيل وفى الدرس ، وفى إعداد نفسه للحياة ، حتى لا تهزمه الصعاب التى تضعها فى سبيله الظروف ، وحتى يستطيع التغلب عليها ، فيشق طريقه ، وتتهيأ له أسباب النجاح والسعادة والهناءة .

الشباب

كان الموسيو بوانكاريه وزيرا للمالية فى احدى الوزارات الفرنسية وهو لم يتجاوز الثلاثين من عمره ، وكان يطيب لبعض أعضاء مجلس الشيوخ أن يعيروه بصغر سنه ليغيظوه وحدث أن قاطعه أحد الشيوخ قائلا : أعذروا الوزير فهو شاب لا يستطيع أن يلم بواجبات وظيفته الإلمام الكافى . عندئذ ضرب بوانكاريه المنبر بقبضة يده وصاح : " والله ان الشباب عيب تودون جميعا أيها الشيوخ أن يكون فيكم " .